الجلسة الأولى

التغيرات العالمية وأثرها على مسار التقدم

د. جميل مطر
د. إسماعيل صبرى عبدالله

أدار الجلسة الدكتور إبراهيم حلمى عبدالرحمن

أ . د . إبراهيم حلمى عبد الرحمن :

بسم الله الرحمن الرحيم .. طبعاً احنا كلنا استمعنا إلى كلمة افتتاحية ، أرجو من الأمانة العامة للمؤتمر أن تعملها جلسة ختامية .. وأنا باعتبر فى الواقع أن مضمونها وماجاء فيها يعد بمثابة جلسة ختامية للمؤتمر من حيث موضوعها .. وطبعا الوقت استغرق جزء من وقت محاضرتنا .. لهذا سوف نقسم الساعة الباقية ثلاثة أجزاء ، الثلث لكل منهما والثلث الباقى لحضراتكم للأسئلة والاستفسارات ، والآن يتفضل الأخ الدكتور جميل مطر .

د . جميل مطر :

شكرا سيادة الرئيس ، وطبعاً أبدأ بتقديم الشكر للإخوة فى جماعة خريجى المعهد القومى للإدارة العليا لدعوتى لحضور هذا المؤتمر الموقر .. وأهنئهم لمناسبة المؤتمر الحادى والثلاثين .

سيدى الرئيس : تحدثت فى دورة سابقة وتحدث آخرون عن التحولات فى النظام الدولى ، وموقعنا فيه وعما استقر بيننا وبين الكثيرين من أننا نعيش مرحلة غير مستقرة .. بل هى مرحلة ربما أقرب إلى الفوضى منها إلى عدم الاستقرار .

ولكنى لن أكرر ماقيل فى دورات سابقة عن النظام السياسى الدولى والمتغيرات السياسية .. ولو أنى أريد فى كلمات قليلة أن ألخص فيها صفحتين أو ثلاثة من هذا التقرير أن أشير إلى أنه فى خلال السنوات الماضية استقرت بعض مقولات أو كلمات أو تعابير منها أننا نعيش عصر توازن القوى وثبت أن هذا بالتأكيد مقولة

خاطئة وزائفة إلى حد كبير .. فتوازن القوى مازال مسيطرا على السياسات الدولية ، وكذلك تنافس العقائد السياسية مازال موجوداً والتنافس الإقليمى بين الدول ، وليس على التنافس الحضارى .. ثانى خرافة ، أو ثانى مقولة ثبت زيفها أن عصر الحروب قد انتهى ، وأننا نعيش عصر التسويات السلمية والاعتدال فى السياسات الخارجية والتسامح و .. و .. إلخ .. ومضى عشر سنوات وثبت أنه غير صحيح بدليل ماتراه فى العالم ، وهناك عشرات النماذج تدل على عكس هذه المقولة ..

ثالث خرافة كبرى .. أننا بدأنا عصرا جديدا من الديمقراطية ، وأنها تنتشر فى العالم بسرعة مهولة ، وأنه لا عودة إلى الوراء فى هذا المجال .. وهذا أيضاً يثبت أن هذا تحت أسماء مختلفة ربما هذا صحيح الديمقراطية بتعطى عناوين مختلفة ، ولكنها لا تنتشر كما يقال أنها أصبحت حتمية وهذا غير صحيح .

المقولة الرابعة : إن حضارة واحدة سادت وتسود الآن .. هذه أيضاً نمطية بأسماء متعددة .. منها قوى الحضارة فى الغرب ، ومنها قيل حضارة اقتصاد السوق .. ومنها الحضارة المسيحية اليهودية .. وكل هذا ثبت أنه غير صحيح .. بدليل ماهو حادث الآن على مستوى تنافس الحضارات ولا أقول صراعا ..

ولذلك .. سيدى الرئيس .. لا أتعرض بالتفصيل للقضايا السياسية ، ولكنى أعتقد أنه فى سلسلة التطورات التى حدثت منذ أعوام الثمانينيات حتى الآن تطورات أخرى متغيرات دولية أخرى ، ولكن غير سياسية ومع ذلك فهى عظيمة التأثير فى السياسة وفى الاقتصاد ، وفى الأخلاق وفى القيم .. وهى تطورات من نوع إسمية الموجات التاريخية التى تكتسح وتدمر الكثير من القديم المتعارف عليه .. لكنها أيضاً فى اكتساحها تلقى أو تغرس الكثير مما حملته حيث بدأت ..

يتحدثون عن موجة حضارية جديدة ذات ثقافة وعلم واندثار أفكار وانبعاث أفكار .. تتحدث عن تدهور قيم وصعود قيم .. تتحدث عن انفراط تكوينات اجتماعية والتأم تكوينات أخرى وكلها تحدث فى آن واحد وبتزاحم وسرعة

لا سابقة لها فى التاريخ .. وكلها تفسر أكثر من مزيج متوتر أو خليط قلق فى العلاقات داخل معظم مجتمعات العالم ويؤثر مباشرة على مسيرات التقدم .

فى منطقتنا مثلا وهى الشرق الأوسط وهذه هى المنطقة التى يتهم بها كل هذا الحديث نلاحظ هذا المزيج من تكوين من قليل من الديمقراطية وهى بحق مبدعة .. وكثيرا وكثير جدا من العنف .. هناك مزيج غريب آخر .. اقتصاد السوق واقتصاد البيروقراطية هناك تبادل مواقع بين احتكار أفراد ولا أقول طبقة أو فئة ، وبين احتكار الدولة فى الشرق الأوسط .. ثم إنه فى منطقتنا يزداد عدد المستسلمين بقدرية غريبة الشكل قدرية كريهة ، قدرية بدأت منذ سنوات حين سادت نغمة إن ما نحن فيه وخصوصا فى مصر هو أقصى الممكن والمسموح به ولا نستحق بمواردنا وضعفنا أفضل منه .

وفى منطقتنا أيضاً ، وربما فى العالم بأسره نلاحظ هذا التنافس الشديد بين الأغلبيات والأقليات ، وبين الأقليات بعضها البعض .. ونلاحظ اتساع تسخير الأديان لمصالح دول وحكومات ومصالح جماعات سياسية واقتصادية .

كثيرا هى التطورات غير السياسية التى تحدث فى الشرق الأوسط ، ومناطق أخرى من العالم وهى تطورات ستظل معنا وسندخل بها القرن القادم وستتأثر بها كل أوجه حياتنا .. سيتأثر بها اقتصادنا واستقرارنا السياسى والاجتماعى ، وهذه التطورات سأختار ثلاثة سأعرضها على حضراتكم بإيجاز شديد :

أولاً : فشل ما اسمه بسياسة تأميم الشعوب .. والمعروف أن الشرق الأوسط إقليم تتعدد فيه ، وفى كل دولة من الدول المكونة له الانتماءات والهوايات .. ولعل هذا الواقع هم أهم خصوصيات هذه المنطقة .. إذ قامت الدولة فى الشرق الأوسط ، وفى مقدمة مهامها بناء أمة بهذه الدولة .. إذ قامت وفى مقدمة مهامها تأميم واستعمل تعبير التأميم متعمدا إذ لم يحدث فى الشرق الأوسط ذوبان أو انصهار أقليات فى أغلبيات .. بل تجاهلت الدولة الشرق أوسطية شكليا ودستوريا واقع التعددية .. وتجاهلت خصوصيات مختلف الانتماءات ، وفرضت على

الجميع أغلبيات وأقليات صفات عامة وقواعد عامة وقوانين عامة .. وهو مابدا ضروريا بمنطق الاستقلال ، ولكن من غير المنطقى هو أن أية دولة فى بداية تشكلها اعتبرت أى محاولة من جانب هذه الأغلبيات أو الأقليات التمسك بالخصوصية خيانة أو غدر ومؤامرة موجهة ضدها بمعنى آخر فرضت الدولة على شعوبها أو قبائلها صفة الأمة ، وهى ليست أمة .. وفرضت على سكانها شكل التوحد وهم حالة تنوع .. لم نكن وحدنا أهل الشرق الأوسط أن أقدمنا على تجربة تأميم الشعوب وإقامة الدول قبل بناء الأمة .. فالأمريكيون شعب متنوع الأصول والجذور ، ولكن على عكس الاتحاد السوفيتى وهو أيضاً كان متنوع الأصول والجذور .. اعتمدت النخبة البيضاء الحاكمة فى الولايات المتحدة على خطة بوتقة الصهر أى اعتمدت على أساليب تشجع وتدفع نحو انصهار الأقليات الوافدة فى بوتقة منظومة القيم الأمريكية .

وفى خلال السنوات الأخيرة ، تغيرت التركيبة السكانية فى الولايات المتحدة .. ظلت الأغلبية بيضاء وأوروبية ، ولكن لم تكن أغلبية كاسحة ، وزادت الأقليات عددا وحجما .. وبرز قطاع قوى فى الرأى العام الأبيض يطالب بوقف هجرة غير الأوروبيين ، وبإلغاء الامتيازات التى قررها المشرعون فى الستينيات لتعويض الأقليات من السود وغيرهم عن الظلم الذى حاق بهم على مدى قرون ، ولحمايتهم ضد التمييز فى العمل والمسكن والتعليم وغيرها .

بمعنى نشبت ثورة ـ وإن كانت هادئة ـ فى الولايات المتحدة تهدف إلى الاعتراف بالتنوع وضرورة تعميقه وتأكيد التعددية العرقية .. ونشبت ثورة وإن كانت أقل هدوءا ـ ضد طغيان الدولة على خصوصيات الأغلبيات والأقليات .

وكما كان انفجار أوكلاهوما إعلانا عن انفجار ثورة اليمين الأبيض ضد التنوع .. كانت مسيرة المليون أسود منذ أسبوعين إعلانا عن فشل الولايات المتحدة فى صنع أمة صنعت دولة . ودولة قوية ، ولكن لم تصنع أمة .. على عكس إيطاليا وفرنسا وألمانيا على سبيل المثال وليس الحصر .

لم نكن نعرف هذا كثيرا .. ولم نكن نعرف مثلاً أن روسيا تغلى بالتوتر بسبب صحوة نوازع متباينة داخل الشعوب المكونة لروسيا .

الشرق الأوسط ليس بعيداً عن روسيا ومجالها الحيوى .. وليس بعيداً عن أفغانستان وشبه القارة الهندية .. ولا عن القارة الأفريقية .. ولا عن أوروبا الشرقية والوسطى ، بمعنى آخر .. الشرق الأوسط فى قلب تيار الصحوة « القومية » العالمية .. ففى كل مكان فى محيط الشرق الأوسط توجد شعوب فى موقع الأغلبية ، أو فى مواقع الأقلية تطالب بحقوق الانفصال والانفراد بهوية أو صنع انتماء جديد .. وفى كل مكان حولنا تنشط حركات احتجاج على عمليات تذويب أو صهر أو تأميم تحدث باسم الدين أو الوطن أو الأمة أو الاقتصاد ..

وتتعدد احتمالات المستقبل فى هذا الصدد .. ولكن الاحتمال الأكبر .. فى رأيى هو أن الدولة المؤممةNationolized لن تكون جوهر أو نواة نظام القرن الحادى والعشرين .. ليس فقط لأننى أتوقع أن يستمر التصاعد فى النزعات الانفصالية ورغبات تأكيد الهويات الأولية ، ولكن أيضاً لأنى أتوقع مزيداً من القيود على قوة « الدولة » وسيادتها فى مواجهة اختراق وزيادة نفوذ القوى الداخلية والخارجية الممثلة للمصالح الكوكبية مثل قطاعات المال والخدمات والمعلومات والتجارة الدولية .. ونحن جميعاً نشهد بوضوح هذه الحملة الشرسة ضد فكرة تدخل الدولة .. أو قوة الدولة ورفاهة الدولة فى كل مكان فى العالم .

العنصر الثانى ـ غير السياسى ـ هو الميل للتطرف واستخدام العنف :

أقول إن السمة الثانية فى سمات الحال الدولية الراهنة هو الميل المتصاعد نحو التطرف واستخدام العنف .. والحقيقة التى لا شك فيها أن العالم يعيش الآن مرحلة متميزة فى العنف .. والأمثلة كثيرة وفى مقدمتها الولايات المتحدة حيث ارتفعت درجة العنف إلى حدود لم تكن معروفة .

هناك العنف المسلح .. والعنف الخطابى .. هناك التطرف المتزايد فى الأفكار والتوجهات السياسية والاجتماعية .. ومن ناحية أخرى عادت إلى الظهور الأفكار

والتيارات العنصرية المتطرفة ، وتصاعدت الحملات الإعلامية والسياسية ضد الأقليات .

ومن ناحية ثالثة تفجرت فى معظم المجتمعات ظاهرة الفساد كظاهرة سياسية ، ثم أصبحت ظاهرة مجتمعية .. وبسرعة ارتبط الفساد السياسى والمجتمعى بأهم تطورين فى عصر ما بعد الحرب الباردة ، وهما المخدرات والإرهاب .

وتشكل من الظواهر الثلاث مثلث يهيمن بدرجة خطيرة على السياسة الدولية ، وهى الخطورة التى دفعت شخص كالرئيس كلينتون إلى أن يطلب من الأمم المتحدة إيلاء هذا المثلث نفس الأهمية التى يحظى بها حفظ السلام الدولى .

نلاحظ أهمية هذا المثلث الرهيب وتلاحم أضلاعه من متابعة مواقع العنف الدموى والمدمر فى عدد من المدن الأمريكية وهى مدن مكدسة بالأقليات وأكثرها متخم بالمخدرات وعصابات الإجرام ، وكلها تعانى من فساد مزمن ، وكلنا نسمع عنها مثل لوس أنجليس ـ نيويورك ـ فيلادلفيا ـ ميامى ـ ديترويت . وكثير من المدن الأمريكية الأخرى .

من ناحية أخرى كثير من العنف المتبادل فى أوروبا يختلط فى العقل الأوروبىَ باحتمال حدوث هجرات جماعية هائلة تنزل إلى البحر فى شمال أفريقيا نازحة فى اتجاه القارة الأوروبية .. ويعرف الساسة الأوروبيون حق المعرفة أن هذا الاحتمال غير مستبعد ليس لأن هناك مؤامرة لغزو أوروبا بالجماهير المسلمة .. ولكن لأن المسافة التى تفصل بين الثروة الأوروبية والفقر الإسلامى تزداد اتساعا ، بينما تضيق كل المسافات الأخرى التى تفصل أو تربط العالمين الأوروبى والإسلامى .

وفى روسيا يسود نوع مختلف من العنف والتطرف .. هناك يغلب عنف الجريمة المنظمة على غيره من أنواع العنف .. ويبدو صحيحا إلى حد ما اختلاط الأمريكيين عنف دافعه الجريمة وعنف دافعه الخصوصية القومية .. أو الخصوصية الدينية .

هناك فى روسيا توحشت الأضلاع الثلاثة لمثلث الفساد والمخدرات والإرهاب تلك كانت بعض نماذج العنف والتطرف فى المناطق غير الإسلامية من عالم اليوم .. وهناك نماذج أخرى فى منطقتنا العربية والإسلامية ، وبدرجات مختلفة يوجد تطرف وصل فى بعض نماذجه إلى درجة قصوى أدى إلى حالة المرض أو حالة الاغتراب الجماعى .

ويوجد عنف وصل فى بعض نماذجه إلى درجة قصوى أى إلى حالة الحرب الأهلية .. ويوجد فساد وصل إلى حد ما نسميه تصفية الدولة إن صح التشبيه نفس هذا المثلث الرهيب يلقى بظله على كل التطورات فى منطقة الشرق الأوسط .

المتغير الثالث ـ هو الصحوة الدينية :

فلمنطقة الشرق الأوسط خصوصية لا شك فيها وهى الدين .. ولكن عندما يكون موضوعنا مستقبل الدور الذى يلعبه الدين فى الحياة السياسية والاجتماعية تندمج هذه الخصوصية فى ـ عمومية ـ ملفتة للنظر .

منذ مدة ونحن نتحدث عن صحوة دينية فى العالم الإسلامى .. ويختلف الكثيرون حول مفهوم الصحوة تماما .. كما اختلفوا ويختلفون حول مفاهيم أخرى . وللصحوة الدينية معان متعددة ، ولكن المعنى الذى أقصده فى هذا المجال تحديدا هو « زيادة كبيرة ومفاجئة فى عدد الناس الذين أصبحوا يفضلون التعبير علانية عن إيمانهم ويختارون ممارسات وأشكالا متعددة للتعبير عن هذا الإيمان».

ويتضمن هذا المعنى أيضاً الزيادة الكبيرة والمفاجئة فى عدد المؤمنين بالرموز والتقاليد المتصلة بالدين .

ويتضمن ثالثا احتمال أن يكون جزء من هذه الزيادة الكبيرة والمفاجئة معبراً عن حالة أو أزمة اجتماعية .

هذا هو المعنى الذى أقصد به الصحوة الدينية .. وبهذا المعنى أعتقد أن هناك صحوة دينية عالمية وليس الإسلام بوجوده ـ تبدو فى الدول الصناعية المتقدمة ، ولكن تبدو أيضاً فى الدول التى تمر بأزمة انتقال فى التنمية الاقتصادية والسياسية

والاجتماعية أو بالأزمة الناتجة عن الاختلاط العنيف بين العصور الثلاثة .. عصر الزراعة ، عصر الصناعة ، عصر الخدمات والمعلومات .. عصور اجتمعت كلها فى المرحلة التى نعيشها .

وهنا فى هذه المنطقة المتوترة أى فى الشرق الأوسط نعرف الكثير عما يسمى بالصحوة الإسلامية .. ونرى مظاهر لصحوة مسيحية أيضاً .. ونعرف الآن عن بدايات صحوة يهودية .. إذ اكتشف اليهود مؤخراً أن هويتهم كإسرائيليين قد تصبح فى القرن القادم محلالاشك حيث أن مفهوم الدولة نفسه أى إسرائيل قد يصبح محلا للشك ، وبالتالى سيخف مدلول الانتماء لدولة .. واكتشفوا أن ادعاء اليهود بانتمائهم لعرق أو جنس نقى لم يعد مقنعا أو مقبولا لليهود خصوصا فى هذا العصر الحديث ، ولذلك لا يبقى لهؤلاء إلا شىء واحد .. أن يعودوا إلى الدين ، ولذلك أتوقع صحوة دينية يهودية وردود فعل وأصداء واسعة فى كافة أنحاء الشرق الأوسط .

سيدى الرئيس .. بعد هذا العرض أرجو أن نتوقف قليلاً عند أسئلة خمسة يتوقف على إجاباتها مصير مسيرتنا نحو الاستقرار والتقدم ، وكما نعرف جميعاً الأسئلة هى من أهم مناط الرؤية فى المستقبل .. ونعرف أنه ليست كل الصحوات الدينية فى التاريخ متشابهة .. فهناك صحوات أطلقت شرارات حضارات .. وهناك صحوات جمدت مجتمعات وقتلت فيها روح الابتكار والتقدم والإبداع .

السؤال الأول : هو كيف نميز ـ كقيادات وصانعى رأى وجماعات ـ بين صحوة تبعث حضارة وصحوة تفرض التخلف عن ركب الحضارة ؟ نشجع هذا أم نهمل ؟ نتبصر أم نتعاص ؟

أنا أعتقد هذا السؤال فى منتهى الأهمية ويجب أن نكون من الشجاعة بحيث أن نناقشه بوضوح .

السؤال الثانى : هل تقوى الدولة الشرق أوسطية ، وهى دولة تبدأ ضعيفة عموما بتركيبتها الطبقية وتنويعاتها العرقية والقومية والثقافية وترهل وخواء

نخبتها السياسية .. هل تقوى هذه الدولة على التعامل مع الصحوة الدينية أيا كان معناها .. سواء كانت صحوة بالمعنى الثائر سلفيا .. أو بالمعنى الثائر مستقبليا ؟

وإذا كانت الإجابة بالإيجاب .. فإلى أى مدى ، وتحت أى ظروف ؟ وبأى تكلفة مادية أو سياسية أو اقتصادية ؟

السؤال الثالث : ماذا عن مستقبل دور الدولة فى ظل انتشار الصحوات « القومية » ؟.. وأقصد هنا القومية بمعناها الوحدوى كالقومية الفارسية والقومية الإسرائيلية ، والقومية التركية .. ولكنى أقصد أيضاً وفى نفس الوقت القومية بمعناها التجزيئى ، كقوميات التنوعات المتعددة أى « قوميات الفسيفساء » التى يزخر بها الشرق الأوسط وكلاهما بالمعنى التوحيدى أو بالمعنى التجزيئى فى حال صحوة لا يمكن إنكارها .. هل تقوى الدولة الشرق أوسطية .. وهى على هذا الحال الذى وصفناه .. على التعامل مع هذه الصحوات القومية فلا ترتبك وتدخل فى صراعات داخلية فتنخرط .. أو لا تتشنج وتشتبك فى صراعات خارجية .. وماهو دور مصر فى هذه المشكلة الخطيرة ؟

السؤال الرابع : الجزء الأول من السؤال هو : هل يمكن حقا أن نعتمد رأسمالية متقدمة فى مجتمع متخلف تستطيع أن تتواءم مع مال كوكبى ، ومال كونى واقتصاد عالمى .. أم أنها ستكون كظلها أو نقيضها الاشتراكية التى نشأت وظلت متخلفة بنفس درجة تخلف معظم المجتمعات التى مورست فيها .

الجزء الثانى من هذا السؤال هو : هل تقوى الدولة فى الشرق الأوسط ، وهى على هذا الحال من الضعف المؤسسى والحضارى ، هل تقوى على التعامل مع أهم مصادر الثروة الاقتصادية الجديدة وهى المعلومات وأدوات الاتصال أى مع مفاتيح ثقافة وقيم المستقبل ؟

السؤال الخامس والأخير :

ما هو شكل التحالف الاجتماعى الأمثل القادر على قيادة مسيرة التقدم ، وإيقاف الفساد ومنع تصفية الدولة فى المرحلة القادمة وهى أخطر هذه المراحل ؟

سيدى الرئيس : أزمات البشرية تحتاج لحلها أو تسويتها إلى عبقرية خاصة ، هى ليست فى حاجة إلى عبقرية تبتكر سلاحا جديدا ، أوتكنولوجيات جديدة إذ كما يقال الآن فى بعض الدوائر الصناعية الأمريكية واليابانية أن هذه الابتكارات تجاوزت قوة احتمال الاقتصاد العالمى وتكاد سلبياتها تتفوق على منفعتها فى الأجل القصير ، وربما المتوسط أيضاً .. البشرية فى حاجة إلى عبقرية إدارية وتنظيمية تعمل لإبطاء وليس تسريع ـ إبطاء ثم تنظيم وضبط سرعة التحولات الجارية فى هذا العالم وتضع أهدافا جديدة للإنسانية وأدوات جديدة لإدارة العلاقات بين البشر فى ظل عالم لا أبالغ حين أقول أنه بالغ التوتر .. أما الفوضى السائدة فى منطقتنا فى الشرق الأوسط .. وكانت كل من الدار البيضاء وعمان نموذجاً لها ، فتحتاج إلى عبقرية مصر .. لا أقول هذا كدعوة لعودة مصر إلى دور القيادة .. إنما أقوله لأنى مقتنع أن الشرق الأوسط مرشح لفوضى أعم وأشمل مما نشاهده الآن ، مالم تسرع مصر فى صنع رؤية لدورها الإقليمى ولأدوار دول الإقليم الأخرى ولدور هذا الإقليم فى العالم .

شكراً سيادة الرئيس ..

(تصفيق)

د . إبراهيم حلمى عبدالرحمن

بنشكر الأخ جميل مطر على هذا العرض السريع الثرى .. والآن يتفضل الأخ إسماعيل بالتحدث فى الحدود التى أرى انه موافق عليها ..

د . إسماعيل صبرى عبدالله :

شكرا سيدى الرئيس .. سيداتى وسادتى صفوة مديرى مصر .. إننى سعيد بوجودى بينكم اليوم .. وكيف لا يسعد المرء حين يسمع ما تفضل به المهندس سعيد أباظة والدكتور أسامة عن الوهاب ، من حديث علمى جاد دقيق

قصير يطرح الأسئلة الجادة والأسئلة الخصوصية ، ولا يردد هذه الكلمات الشائعة المانعة الضائعة التى تحفل بها وسائل الإعلام فى مصر .. شكراً لهما وأعتقد أن أى إضافة لهاتين الكلمتين معا ستكون إضافة جزئية فهما كلمتان جامعتان ..

وأنتقل إلى الموضوع الذى أريد أن أحدثكم فيه .. هذا الموضوع يبدأ من واقع أننا ألفنا دائما حين نتكلم على المجتمع الدولى أو السياسة الدولية أو العلاقات الاقتصادية الدولية .. أننا بصدد مجتمع مكون من دول مستقلة ذات سيادة أعضاء فى الأمم المتحدة تسيطر على مجتمعاتها بطريق ديمقراطى أو بغير طريق ديمقراطى .. سيطرة شبه كاملة .. وهذه العادة جعلتنا نركز على أمور وهمية .. فمثلاً الحرب التجارية بين اليابان والولايات المتحدة أنا كتبت فى الأهالى فى وقتها « الحرب التى لم نرها » وحين فض النزاع كتبت « الحرب التى لم تر » لأن مايربط بين هذه الاقتصاديات كلها أوثق وأخطر وأكبر من أن يسمح به .

وأريد أن أقدم فى مواجهة هذه الظاهرة الأساسية التى تحكم اقتصاد اليوم وهو مايسمى بالإنجليزيةGlobalization اشتقاقا من كلمة جلوب بمعنى الكرة الأرضية ، ولكن بعد بحث فى المعاجم وجدت أن أدق ترجمة لها هى كلمة الكوكبة وما يريد الاشتقاق وبحثه ، ففى هوامش الورقة كام سطر عن لغوية هذه الكلمة .

هذه الظاهرة بتعنى بالدقة أن كما كبيراً من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية ، وما شئتم فى مجالات العمل تتم عبر العالم أو عبر أقاليم فيه دون أن تستند لإرادة دولة معينة أو لحمايتها .. وهناك فعاليات قوية أقوى من الدول منفردة ومجتمعة هذه الفعاليات هى بلاشك كشركات متعدية الجنسية وستكون مركز حديثى الأساسى ، ولكن أيضاً هناك أنشطة غير حكومية تتجاوز الحدود الوطنية والجنسيات إلى حد كبير .

وأيضاً ـ هذا ثالثا ـ هناك قضايا بطبيعتها لا تخضع لسيادة دول كما سنرى شيئا منها .

نبدأ أولاً بظاهرة الشركات المتعدية الجنسية وهى متعدية وليست متعددة .. متعددة Transnational إنما اللى بنتكلم عنه هى :- TransnationaCorpora tions لأنها تعبر عبر هذه القوميات ، ولا تعتد بها وليس لها أى وزن يذكر فى قرارات تتخذ على أساس أن العالم كله سوقا واحدة تتنافس فيها هذه الشركات متعدية الجنسية .. هناك تفسير يقال عادة فى تفسير هذه الظاهرة التى حكم التطور الاقتصادى فى العالم فى الخمسين سنة الماضية والتى مازالت فى عنفوانها وسنعيش معها طبعاً على الأقل فى المستقبل المنظور أى عقدين أو ثلاثة فى القرن القادم ..

كثيراً مايقال إن هذا التغيير الذى دعا الدول تخرج من إطار دعم الرأسمالية على مستوى الدولة نفسها ، ثم على مستوى الامبراطورية الاستعمارية إلى عملية اختراق ، اختراق متكاملة ومتبادلة على مستوى كبير .

هذه الظاهرة جديدة بلا شك وتمثل مرحلة فى تكوين الرأسمالية العالمية يجب أن ندرك أبعادها .. فى العادة يقولون إن هذه الكوكبة أصبحت ممكنة بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية .. وأنا أقول إن هذا فرض لأوضاع الكوكبية لأمر بسيط .. البحث العلمى والتكنولوجي لم يعد عملاً فرديا .. إنما عمل تقوم به فرص عمل متعددة فى مراكز عملية متنوعة ويستدعى تمويلا ضخما لا يقل عما يذهب للاستثمار فى أصول رأس المال الثابت .

من أين جاء التمويل ، إن من يعطى التمويل يوجه اتجاه البحث .. إذا كنت عبقريا ، ولك فكرة مدهشة فى العالم كله ، ولم تجد من يستطيع أن يوفر لك التمويل لاختيار هذه الفكرة ، ثم لتطويرها ثم وصولها إلى قانون علمى ، ثم انتقالها للتطبيق ، ثم البحث والتطوير لكى تصبح تكنولوجيا .. إذا لم يتوافر هذا التمويل فهى غير موجودة .

والمثل الحاد على هذا وهو يعنينا كثيرا التخلف فى تكنولوجيا الطاقة الشمسية لأنها لا تعنى أوروبا أو أمريكا كثيرا ، ولا تعنى شركات متعدية الجنسية ، إنما

تعنى أساسا الدول المدارية ذات الضوء الساطع مثل الوطن العربى والدول المدارية حول العالم وهؤلاء ليس لديهم ما ينفقونه على البحث العلمى والأمثلة كثيرة ، فهنا ما ينفق على البحث بيختار .. أمامه مشروعات بحثية كثيرة يمول بحث ولا يمول آخر .. لماذا ؟ لأن له مصلحة فى تمويل هذا البحث .. الواقع أن ثورة المعلومات والحاسوب والكمبيوتر بالذات نتاج لضخامة عمل الشركات الجديدة متعدية الجنسية واستحالة إدارتها مركزيا بدون قواعد معلومات وبدون كمبيوتر وبدون اتصالات بين الترمنالز الموجودة بين الشركات المختلفة ، وقاعدة البيانات فى المقر الرئيسى للشركة .. هذا هو الطلب عندما تعمل على مستوى العالم ، كان لابد أن تتطور الإدارات وأن تملك من وسائل الإدارة أساليب متقدمة جداً تتطور الإدارات ، وأن تملك من وسائل الإدارة أساليب متقدمة جداً تمكنها من أن تكون إدارة فاعلة رغم الأعداد الكبيرة من الناس الذين يعملون فيها والأخطار المتعددة التى تشتغل بها ، هذا لا يعنى أن نغفل الاتجاه الآخر لأن الاكتشافات أيضاً التى مولت ساهمت فى تطوير تركيبة اقتصادها .. إذن العلاقة السببية متبادلة ،ولكن نقطة البدء فيها هى الحاجة إليها .

البحث العلمى فى مصر متخلف لأن المجتمع المصرى لايريد منتج البحث العلمى ولا ينفق عليه .. عندنا عدد من الباحثين بالآلاف ويمكن بعشران الآلاف ، ولكن المجتمع لم يطلب شيئا ، وبالتالى لا يبحثون ويموت البحث العلمى فى مصر .

فإذا وراء البحث العلمى دائما مصلحة .. كانت بتبقى مصلحة الشركات الكبرى وأيضاً المعمل التجريبى للرأسمالية كلها وهى صناعات الدفاع .. حيث تمول الدولة كل أعمال البحث والتطوير لتنتج طائرة مقاتلة ، ونفس الشركة تأخذ هذه النتائج وتنتج طائرة مدنية بدون إنفاق يذكر على البحث والتطوير .

الحقيقة أن البحث العلمى تقدم تحت طلبين .. طلب الدفاع والطلب العسكرى وطلب رجال الأعمال .

لابد إذن ندرك ماهى الأسباب الحقيقية التى جعلت الرأسمالية تتطور السبب

الرئيسى والأول يمكن أن نرمز له بقنبلة هيروشيما ، وهى اللى قالت إن أسلحة التدمير الحديثة لا تترك فى الأرض غالبا أو مغلوبا فكلاهما سيدمر وستدمر الدول المجاورة ، وبالتالى كان على الرأسمالية أولاً .. أن تلغى الاتجاه للحرب تماما بين الدول الرأسمالية ، وكان هذا شيئاً جديداً جداً لأن تاريخ الرأسمالية سلسلة من الحروب فى القرن التاسع عشر كان فيه حرب فى أوروبا كل عشر سنين مرة ..

وانتهى الأمر بعد تقسيم المستعمرات كلها إلى حربين عالميتين بهدف إعادة تقسيم المستعمرات .. فهنا الحرب كانت مكونا أساسيا فى المجتمع الرأسمالى ، وفى الدول القومية ، وكل مايتصل بها من أيدلوجية التعصب القومى وألمانيا فوق الجميع .. إلخ .. وكان عليها الآن أن تعيش دون هذه الحرب وأن توجد الآليات التى تسمح بتسوية الخلافات دون الالتجاء للسلاح .. هذا كان معناه أن تتداخل الأسواق وأن ترتبط بأسواق الدول الصناعية بضوابط وثيقة جداً على مستوى غير حكومى وسابق للاتفاقيات الحكومية .. أكبر دعاة للسوق الأوروبية كانت تريد أن تعيش فى سوق واسعة مثل سوق الولايات المتحدة الأمريكية .

الأمر الأول : الذى ساعد على ذلك هو حركة التحرر الوطنى وانهيار الامبراطوريات القديمة بشكلها القديم على الأقل جيوش الاحتلال والحاكم الأجنبى وفرض اللغة الأجنبية على البلد .. إلخ .. ده انتهى نهائيا وأصبحت السيطرة سيطرة اقتصادية فى الأساس .. ووجود التدخل العسكرى سيظل استثناء .

انهيار الاتحاد السوفيتى طرح النهاردة لأول مرة أن المجتمعات المتقدمة يمكن أن تستبعد الحرب تماما فى علاقاتها مع بعضها ، وتترك الحرب لمن يسمونهم الهمج فى العالم الثالث الذين يقتلون بعضهم بعضا ، ولا يعنى أمرهم أى شىء بالنسبة للأمريكيين أو الروس أو اليابانيين أو الأوروبيين .. كما يحدث الآن فى أفريقيا .. فمفيش دولة فى الصومال مثلاً .. واللى بيجرى فى السودان وكل الحاجات دى هو الآن شعار الشعب الأمريكى والرأى العام الأمريكى لا يموت

مقاتل أمريكى من أجل زنجى فى أفريقيا أو من أجل رجل أصفر فى آسيا ولا نريد التدخل العسكرى .. هذه الدول فقدت أهميتها لأن المواد الأولية اللى عندها تراجعت أهميتها فى المشروعات الحديثة التى تعتمد على شوية السلكون .. حاجة هايفة جداً يعنى .. النهاردة المادة الأولية لا تزيد على ١٠٪ ، والباقى جهد بشرى مؤهل .. الخ .. وهذا هو مصدر الثراء الحقيقى ، وليس المادة الأولية .

الأمر الثانى : هذه الدول فقيرة وليست سوقا رائجة للسلع التى تنتجها الدول والصناعات المتقدمة .. وبالتالى هذه الدول ليس لها أهمية .

أنا أطلت فى هذه المقدمة وأنا آسف .. وسأدخل مباشرة لأهم سمات الشركات متعدية الجنسية .. السمة الأولى بالطبع هى الأرقام وتقاس الضخامة برقم المبيعات وأحياناً بالإيرادات وأحياناً بالقيمة السوقية ، وأحياناً بقيمة الأصول الثابتة .

وبيؤخذ عادة رقم الأعمال أو رقم الإيرادات على أساس أنه المؤشر المتغير وهو أكثر أهمية وهو الذى يحكم المؤشرات الأخرى بما فيها مؤشر الربح .

المصدر الذى اعتمدت عليه هده المرة هو مجلة فورشن عدد ٧ يولية الماضى أو ٢١ يولية اللى فات ، واتكلمت عن أكبر ٥٠٠ شركة كوكبية .. فالشركات إذن ضخمة وكمثل واحد أديه .. هو شركة A B B التى تكونت من اندماج شركة سويسرية ضخمة مع شركة سويدية كبيرة هى A S E A وابتعلت شركات أخرى ، وهى نشيطة فى نحو ١٣٠ دولة ، ولها ١٣٠٠ شركة حول العالم ومعظمها فى الدول الصناعية .. دى فكرة عن حجم هذه الشركات ، وما يمكن أن تصل إليه .

الأمر الثالث : هو التنوع الشديد فى الأنشطة .. فهذه الشركات الكبيرة تحتاج إلى حد ما أن تكون شركة قابضة لأن عندها أنشطة متنوعة بمعنى أن مفيش صلة مباشرة بينهم .. لماذا تملك شركة تليفونات شركة فنادق زى شيراتون اللى احنا موجودين فيه .. ما العلاقة بين الاثنين ؟ مفيش علاقة .. ولكن دى وسيلة لأن لو حدثت خسارة فى مجال .. نكسب من مجال آخر ،

وبالتالى أصبح التعبير السائد النهاردة أن ماكان يسمى مزايا الإنتاج الكبير اختفى وحل محله توسع المجال ..

الانتشار الجغرافى :

مغطية العالم كله فى العادة ، ومغطية عدد كبير من الدول فهى تفكر بعقلية أنها تواجه سوقا عالمية .. وأن الكرة الأرضية سوقا مثالية ، وعليها أن تحدد مكانها فى هذه السوق وليس فى سوق الولايات المتحدة وحدها ، ولا سوق اليابان وحدها وهكذا ..

الأمر الذى أريد أن أشير إليه .. كثيراً ما يكتب أن الشركات متعدية الجنسية هى المصدر الأساسى للاستثمار المباشر فى دول الجنوب ، وهذا خطأ نقع فيه .. ليس كل استثمار مباشر هو بالضرورة من شركة متعدية الجنسية .. هناك شركات أخرى بتستثمر وخصوصا على المستوى الإقليمى .. فالاستثمار يمكن أن يتم عن طريق جهات أخرى غير الشركات متعدية الجنسية .. على عكس الشركات متعدية الجنسية تجمع مدخرات من العالم كله .

أولاً : أسهمها مطروحة فى كل البورصات الهامة فى العالم .. فأى واحد مننا يمتلك كذا ألف دولار أو نقد أجنبى يحولهم له فى I B M .. أيضاً تتم عمليات الاندماج أو الانتزاع بمعنى أن شركة عجزت عن التفاهم بشأن الاندماج معها فتلجأ إلى شراء أى كمية من أسهم هذه الشركة بسعر أعلى من سعر البورصة فتأخذ بنسبة ١٠٪ أو ١٥٪ بما يزيد على ٢٪ عن المجموعة الأخرى وتستولى على الشركة فى الحالتين ، هذه العملية مكلفة للغاية وتحتاج إلى تمويل كبير جداً ، هذا التمويل يؤخذ من البنوك متعدية الجنسية نفسها يعنى من ودائع الناس ، ومن مدخراتهم ، وليس من جيب الشركة .

الأمر الرابع : إن أى شركة تابعة تنشأ فى بلد مكلفة بأنها تمول نفسها محليا .. وحتى حين يتم الأمر فى الخارج فقليل ما تقدمه الشركة من المال .. تأخذ

أسهما مقابل المعرفة الفنية وأسهما مقابل الترخيص باستخدام العلامة التجارية الدولية .. وإذا كان فيه بورصة لابد أن يطرح أسهم الشركة التابعة كأسهم محلية لسير الإنتاج الجارى أساسا تعتمد الشركة المحلية على الجهاز المصرفى المحلى .

فهذه الشركات تعبىء وتمتص مدخرات العالم وليست وسيلة لإعادة توزيع الاستثمارات فى البلاد النامية .

الأمر الخامس : أنها تقوم حاليا بتعبئة كل الكفاءات المتاحة .. أفضل الناس فى الشمال والجنوب .. لا مقياس للجنسية فى هذا الموضوع .. والوضع السائد هو من يعمل فى شركة تابعة يبدأ على النطاق المحلى أمله الأكبر فى أن يطمع فى يوم من الأيام لأن يضم إلى الكادر الدولى .. فتنتقل العناصر الواعدة وبيعملوا لها دورات تدريبية .. فإذا كانت فى الستينيات والسبعينيات .. الـ Braim drain كانت مسئولة عنه الجامعات ومناطق البحث بره النهاردة اللى بيعمل أحسن برين درين هو الشركات متعدية الجنسية ، ومتعدية الجنسية حتى القمة ، وشركة A B B اللى اتكلمت عنها مجلس الإدارة بتاعها يتكون من ثمانية أفراد ينتمى إلى خمس جنسيات مختلفة يعنى الثمانية مش من السويسريين والسويديين بس اللى هما أسسوها .. لأنهم بياخدوا أحسن الناس وبيخطفوا من بعض وكلكم سمعتم عن الرجل الباكستانى اللى انتقل من الجنرال موتور إلى فولكس فاجن واتهموه فى جنرال موتور بأنه سرق رسومات موديل جديد .. كان عدد هذه الشركات الـ ٥٠٠ موجود منها ٤٨٣ شركة فى الدول الأعضاء فى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية ، الاتحاد الأوروبى أظن ١٥٥ شركة الولايات المتحدة ١٥١ شركة اليابان ١٤٩ شركة ، وهذا ما يسمى الثالوث المسيطر بالفعل على اقتصاد العالم واللى فيهم مقار هذه الشركات الكبرى .. وفى شرق آسيا يوجد ٨ فى كوريا ، ١ فى هونج كونج ، وفى تايوان ٢ ، والصين ٣ .. ده حسب المقر ، وأيضاً نجد شركة نسلة مقرها فى أوروبا ..

ومن طبيعة هذا الانتشار أنهم أصبحوا يسيطرون على معظم التجارة الدولية ،

لكن الأهم هو معرفة أن نصيب البلد المنسوب إليها الصادرات يعد نصيبا متدنيا فى حين أن ما لايقل عن $\frac{٢}{٣}$ التجارة الدولية فى يد الشركات متعدية الجنسية .

إجمالى إيرادات الشركات الـ ٥٠٠ بلغ ١٠ تـرليون دولار ، وعـلى سبيل المقارنة ، نجد أن مجموع الناتج المحلى الإجمالى لدول العالم فى السنة السابقة ١٩٩٣ ، كان أكثر قليلاً من ٢٣ تريليون دولار وكان الناتج المحلى الإجمالى للولايات المتحدة الأمريكية ٥ ترليون وتسعمائة وعشرين بليون دولار ، وهكذا يمثل رقم إيرادات الشركات المذكورة ضعف الناتج المحلى الإجمالى للولايات المتحدة ، ٤٤٪ من الناتج المحلى الإجمالى للعالم كله ، هناك أيضاً قضايا كوكبية بطبيعتها مثل أعالى البحار ، واستخدام الفضاء الخارجى .. كمجال للنشاط الإنسانى خارج الغلاف الجوى للكرة الأرضية ، وحتى الآن لا توجد سلطة أساسية تحكم هذا الاستخدام ، ولم تواجه الجماعة الدولية حتى الآن مشكلة تقنين قواعد استخدام الفضاء وحل المنازعات التى يمكن أن تنشأ عنه ، وكل ماحدث هو الاتفاق الدولى على عدم استخدام الفضاء فى الأعمال الحربية ، أيضاً عندنا قضايا البيئة والسكان وهى قضايا أضرارها البيئية لا تعترف بالحدود السياسية وأحياناً التلوث ينشأ فى منطقة ، ويحدث آثاره الضارة فى منطقة بعيدة عنها .. ومن أمثال ذلك الغازات الحمضية التى تحملها الرياح من مصانع شمالى غرب الولايات المتحدة وتسقطها الأمطار على أشجار الغابات فى ألمانيا فتضمر وتموت ، كما يشاهد فى الغابة السوداء .. وطبعاً اللى يلوث بحيرة فكتوريا يوصل التلوث لغاية مصر ويؤثر فيها .. إذن مشكلة البيئة بطبيعتها مشكلة متعدية الأقطار .. فالتلوث يحدث فى بلد ثم يؤثر فى بلد آخر .

عندنا أيضاً موضوع حركة السكان :

العالم تاريخيا ، وقبل ظهور الدول القومية .. لم يكن الناس بحاجة إلى جواز سفر للانتقال بين أقطار العالم المختلفة ، ومن ٢٠٠ سنة لم يكن العالم العربى

الشهير الإدريسى عند طاف بالعالم لتأليف كتابه فى الجغرافيا لم يكن معه جواز سفر وأيضاً رحلات ماركو بولو النهاردة الدول الغنية بتوقف هذا الانتشار وبتوقف انتقال العمالة بالذات حيث ترفض إيجاد فرص العمالة ، وبالتالى تعطل قانونا أساسيا من قوانين السوق .. من أجل صالح العمالة المحلية .

وفى حين تطلق اتفاقية الجات حرية الانتقال لرأس المال والسلع والخدمات يظل انتقال العمالة من الجنوب إلى الشمال محظوراً تماما ، وكذلك تقييد اكتساب الجنسية .

هناك أيضاً قضية الفقر فى العالم :

هذه القضية أصبحت مشكلة العالم الثالث .. قديما كان يقال لنا إن الفقر سيصفى عندما تدخل فئة غنية فى المجتمع ، وتزداد دخولها سيزداد استثمارها وتوجد فرص العمالة وسيزيد عدد العمال بأجر ويقل عدد الفقراء .. النهاردة ثبت بالدليل القاطع أن هذا لم يحدث ، ولن يحدث وأن البنك الدولى نفسه اختار يدخل فى هذا الميدان عندما وجد أن الفقر يقف عقبة فى سبيل النمو .. وقال إذا كنا نريد أن ننمو لابد أن نتعامل مع مشكلة الفقر .. ورئيس البنك الدولى قال إن فيه مليار إنسان دخلهم اليومى دولار واحد .. البنك الدولى كان عمل دراسة أخرى منذ عامين عن الفقر المدقع اللى هو الدخل أقل من الوفاء باحتياجات البقاء على الحياة من تعليم وصحة وإسكان وخلافه ، وجاء فى الدراسة أن عدد الفقراء حسب هذا التعريف ـ على أساس دخل أقل من ٣٨٠ دولارا فى السنة حوالى مليار ، ٨٠ مليون إنسان .. وقال فى سنة ٢٠٠١ سينخفض العدد إلى مليار فقط ، وأن الـ ٨٠ مليون نسمة سيصعدون إلى ما فوق حد الفقر .. دول موجودين فين ؟ موجودين فى بعض أقطار آسيا وأمريكا اللاتينية ، أما منطقة أفريقيا والشرق الأوسط فيزيد عدد الفقراء فيها بنسبة ٥٠٪ .. طبعاً أنا بانقل هذا الكلام من تقرير البنك الدولى وليس من عندى .. وأن ناقل الكفر ليس بكافر .. وإذا كان الكلام ده مش مصدقاه

الحكومة المصرية فعليها أن تحتج عليه ، هذه المشكلة طبعاً تهدد المجتمعات الأوروبية والأمريكية النهاردة نتيجة سهولة الاتصالات .. وكل توقعات النمو مابين ٢٪ ، و٣٪ فقط يعنى البطالة ستستمر ، ومشكلة البطالة هنا أنها بتكسر شبكة الأمان التى يمثلها نظام التأمينات الاجتماعية .. التأمينات الاجتماعية بتبدأ بأنك انت عامل وبتدفع اشتراكك وصاحب العمل بيدفع مثله مرتين ، وإذا مدخلتش أنت سوق العمل خالص فلا تغطى بهذا الغطاء التأمينى ، أيضاً الحق فى معاش كامل بيقتضى $\frac{٢}{٣}$ المعاش الكامل .. وهذا يحدث فى بطالة الكوادر التنفيذية من مستوى العالم .. عندما تتعطل المصانع بيسموها أنها بطالة دائمة أكثر من سنة .. إلى سنتين ، ومن يستمر تعطله أكثر من سنتين يتعرى من غطاء المجتمع .

نسبة البطالة فى فرنسا ١٢٪ ، وفى أمريكا البطالة تنعكس على تدنى الأجور إلى أدنى مستوى بحيث لا يغطى حد الفقر للعامل .. هذه المشاكل تهدد وابتدى فعلا الانتقاص من مزايا الحماية الاجتماعية والتأمينات الاجتماعية ..

هذه المجتمعات عندها ظاهرة الفقر إلى الآن لم تجد لها حلول مباشرة ، وهذا يتناقض مع التقدم التكنولوجى .. التقدم التكنولوجى لازم يستغنى عن العمالة .. فكيف تتقدم تكنولوجيا ويبقى عندك فقر ؟ إذن قضية الفقر أصبحت قضية عالمية تهدد الشمال .. وفى كل تاريخ البشرية الجياع اجتاحوا بلاد الأغنياء .. إضافة إلى نقل الأمراض .. مثلا الإيدز كان فى أفريقيا النهاردة انتقل عندهم .. المخدرات .. دول فى العالم الثالث هى اللى بتزرع وهما اللى بيدخنوا لأن الدول المنتجة للأفيون لا تستخدمه وتصدره للسوق الأوروبية والأمريكية فيه أيضاً المنظمات الأهلية متعدية الجنسية .. زى Medecins Sans Fnontrens, Oxfam, Cane أطباء بلا حدود وغيرها من جمعيات فعل الخير .. وأيضاً منظمات حقوق الإنسان ، منظمات السلام ضد السلاح الذرى ولها تأثيرات متزايدة وأقوى معقل لها كان فى الولايات المتحدة .. عدد المظاهرات والاضطرابات فى الولايات المتحدة ضد

السلاح الذرى والتجارب النووية أكثر منه فى أى بلد آخر .. أيضاً قضية حماية البيئة .. الحقيقة كنت سعيداً عندما سمعت من بعض الشباب الى اتكلموا أمامنا .. عن اهتمامهم بالبيئة .

فيه أيضاً الحركات النسائية .. ومؤتمر بكين والقاهرة للسكان والأنشطة التى سمعنا عنها فيهما .. إذن وجود وسائل الاتصالات السهلة ساعدت على تكثيف هذه الأنشطة الأهلية العاملة فى المجالات الإنسانية وسهولة اتصالها ببعض بالفاكس وغيره من الأجهزة الحديثة .. إذن مجال التعددية الجنسية لم يتوقف عند حد الشركات متعدية الجنسية ، ولكن أيضاً فيه منظمات أهلية متعدية الجنسية ولابد أن أذكر فى هذا الصدد جمعية العفو الدولية : Amnesty Jnter-natinal فأنا مدين لها شخصياً .. يعنى وصلنى منها كارت معايدة بمناسبة السنة الجديدة ، وأنا مسجون فى سجن الواحات الداخلة ١٩٦٣ .

النقطة الأخيرة سيادة الريس : إن الدولة القومية دورها يتراجع ، أما دور الشركات متعدية الجنسية ، وهذا يؤدى إلى التأثير على وظائف كانت بتتولاها الدولة .. المجتمع الغنى أو مجتمع الشركات متعدية الجنسية سلبها منها .. وأول هذا :

ـــ إن الجيش لم يعد أمراً هاماً بالنسبة للشركات متعدية الجنسية زمان كان مهم للغزو والحرب وفتح المستعمرات والسيطرة على السوق الوطنية .. كل ذلك لم يعد مهما الآن بالنسبة للشركات متعدية الجنسية بعكس ماكانت تهتم به فى الماضى الرأسمالية الاستعمارية أهمية الإنفاق العسكرى عندهم إيه ؟ ينحصر فى معمل للبحوث العسكرية .. يعنى مش حيلغوا التسليح .. بس عملية الفكر العسكرى وتمجيد العسكرية انتهى ، والدليل على ذلك أن الرئيس بوش الذى انتصر فى حرب الخليج سقط فى الانتخابات واللى تكلم فى الأزمة الاقتصادية انتخبوه .. أيضاً الشرطة استغنى عنها الآن وشركات الأمن الخاصة هى المكلفة بالأمن ، وحتى عندنا فى مصر بقينا ماشيين على الموضة وطلعت عمارات ضخمة ، ومن علامات

الشياكة فيها أن بدل ما يبقى فيها البواب الصعيدى أو التقليدى .. بدأ فيها موظفين أمن لابسين كويس وحاملين سلاح .

أيضاً .. بالنسبة للبريد والاتصالات .. الشركات الكبرى استغنت عن البريد الحكومى تماما وتتعامل مع البريد السريع ، وفيه فى مصر الآن ثلاث أو أربع شركات خاصة تعمل فى البريد السريع ، وفيه بريد سريع محلى وحكومى فى مصر .

الأمر الأخير : أنهم استغنوا عن خدمات القضاء لأن كل العقود بتاعتهم محذوفة قانونيا كويس جداً وعند الخلاف بيلجأوا للتحكيم مباشرة .. وحتى فى سائل الدعوى الجنائية فإن القانون الإنجليزى والأمريكى بيسمحوا بإجراء صفقة بين الضحية والمتهم يتفقوا عليها ويسقطوا الدعوة ، وفى العادة بتنتهى سريعا لأن إجراءات التقاضى طويلة ومكلفة .. بينما القانون المصرى زى القانون الفرنساوى ، وبيقول لأ .. دى جريمة فى حق المجتمع وممكن صاحب الموضوع أو المصلحة يتنازل عن حقه المدنى ، ولكن النيابة تستمر فى القضية .

فيه أيضاً من الحاجات اللى نسيت أن أشير إليها هى المنظمات الأهلية المتعدية الجنسية العاملة فى الجريمة المنظمة .. الجريمة المنظمة النهاردة لها شركات متعدية الجنسية .. من زمان انتهى الإجرام على أنه ظاهرة حرفية صغيرة محدودة .. دلوقت الجرائم الخلقية بتدار بأساليب الشركات المتعدية تماما ويدخل فى هذه التجارة غير المشروعة فى السلاح وخاصة للدول التى تحارب وليس لديها مصانع تمدها بالسلاح ، وهذا أيضاً يحقق مكاسب كبيرة للدولة المنتجة للسلاح .

فيه أيضاً الجرائم المالية والجرائم الإلكترونية زى نقل فلوس من حساب لحساب وده بيتم على مستوى دولى .

فى النهاية أقول إن هذا الوضع هو الوضع السائد فى العالم ، وبالطبع السؤال اللى حيخطر هو نعمل إيه احنا فى هذا ؟ الخيار الأول هو ضرورة الاستسلام لهذا الواقع واللى متقدرش عليه سير معاه ، ومن جاور السعيد يسعد .. إلخ .

هذا ليس ضعفا لأن كثيرا من دول العالم الثالث لا محل لها فى الاقتصاد العالمى المتعدد الجنسية .. استغنى عنها وتركها .

أفريقيا النهاردة مهمشة .. نيجيريا اللى فيها ١١٠ ملايين نفس ، وعندها بترول ، وكان يمكنها أن تكون الدولة القائد فى أفريقيا كلها ، النهاردة لا أهمية لها وسايبينهم يعملوا فى بعض اللى هما عايزينه ، حتى لو طلبنا نشتغل خدامين عندهم فلازم ينقوا شوية والباقى ملوش لزوم إلا كون أن احنا نستسلم .. لأ .. ممكن نستسلم ونقف كند لهم .. الخيار الثانى : اللى يجب استبعاده أيضاً هو وهم العزلة ،ولكن هناك طريق وسط لإجراء التنمية الشاملة .

وآسف إذا كنت أطلت على حضراتكم وأرجو رحمة السيد رئيس الجلسة .. وشكرا .

« تصفيق »

د . إبراهيم حلمى عبدالرحمن :

شكراً .. فى الواقع أنا باسأل حضراتكم هل نأخذ فترة للراحة أم نستمر وننتقل للجلسة الثانية .

جميل مطر :

أرى أن نستمر كسبا للوقت .

د . إبراهيم حلمى عبدالرحمن :

فى الواقع البرنامج الأصلى انتهى .. عموما عندى سؤال واحد فقط من الأخ مصطفى رضا بيقول عايز استفسار من الدكتور إسماعيل صبرى لمدة دقيقة واحدة .. اتفضل .

أ . مصطفى رضا :

سيادتك ذكرت فى المحاضرة أن الدول اللى اختفت زى السودان والصومال مفيش حد تعرض لها .. أيضاً جاء فى التقرير أن مفيش حد فكر يدفع تكاليف حرب الخليج بين العراق والكويت ، وأذكر أن تكاليف الحرب كانت ٣٦ مليارا دفعتها السعودية والكويت لأمريكا وده ذكره الأستاذ محمد حسنين هيكل .

الحاجة الثانية : أنا شفت فيلم لسيادتك طلعت فيه وللأسف كل الناس اللى طلعوا هاجموا سياسة الانفتاح والدكتور سعد الدين إبراهيم .

هل فكرت سيادتك فى عمل كتاب عن هذا لرد الاعتبار ؟

د . إسماعيل صبرى :

بالقطع لأ وأنا ضد الانفتاح .

د . إبراهيم حلمى :

فى نهاية الجلسة بنشكر الإخوة المتحدثين وترفع الجلسة .